

اسم المادة: ١- تعريفات لا بد منها

من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: ١- تعريفات لا بد منها
من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع



الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام للهدى، ونكت في قلوب أهل الطغيان فلا تعي الحكمة أبدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله إلها أحدًا فردًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وخليله، ما أعظمه عبدًا وسيدًا وأكرمه أصلًا ومحتدا، وأبهره صدرًا وموردا، وأطهره مضجعًا ومولدًا، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه، غيوث الندى وليوث العدى، صلاةً وسلامًا دائمين من اليوم إلى أن يبعث الناس غدًا.

أما بعد؛ مرحبا بكم أيها الإخوة الأكارم، وهذا لقاؤنا ومجلسنا الأول في الوجيز في عقيدة أهل السنة والجماعة، نسأل الله أن نكون من أهلها وأن نحملها بحقٍ وأن نحيا بها ونموت عليها حتى نلقى الله –تبارك وتعالى– فيثيبنا بما أثاب به عباده الموحدين المتبعين لسيد المرسلين –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كان في لقائنا الماضي مقدمة نحث فيها على تعلم العقيدة الصحيحة، وفضائل تعلم هذه العقيدة والثمرات التي نجنيها إذا التزمناها بإذن الله –تبارك وتعالى–.

واليوم مجلسنا الأول مع تعريفات مهمة ولابد أننا سنحتاجها أثناء سيرنا في هذا الكتاب حتى ننتهي من هذه السلسلة بمشيئة الله –عز وجل–:

الأمر الأول تعريف العقيدة ما هي العقيدة؟

نسمع كثيرًا كلمة العقيدة فما هو تعريفها؟

التعريفات اللغوية تقول بأن العقيدة هي من العقد، وهو الربط والإبرام والإحكام، والتوثق والشدة بقوة والتماسك والمراصة والإثبات، ومنه اليقين والجزم، والعقد نقيض الحل. ويقال عقده يعقده عقدًا ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال الله –تبارك وتعالى–: "لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ" المائدة:٨٩، يعني وثّقْتُم.

والعقيدة الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعث الرسل حقا أو باطلا، العقيدة في الاصطلاح هي أمور التي يجب –يعني لا ما لوش دعوة بمسألة الاستحباب أو فضلا عن الإباحة إنما هو على الوجوب– هي الأمور التي يجب أن يُصَدِّق بها القلب، وهذا طبعا ينافي الكذب وينافي النفاق وغيرها من المعاني التي تنافي الصدق، وتطمئن إليها النفس؛ تركن وتنطوي عليها حتى تكون يقينا ثابتا لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك، لأن الريب والشك منافي للاعتقاد، أي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقًا للواقع، لا يقبل شكًا ولا ظنًا، فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة، ممكن يسمى رأي يعني أي شيء من هذه الأمور. وسمي عقيدة لأن الإنسان يعقد عليه قلبه.



التعريفات الاصطلاحية تقول بأن العقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بربوبية الله –سبحانه وتعالى–، أنه هو الرب –عز وجل–، وألوهيته أنه هو المعبود الإله –عز وجل–، وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب وأصول الدين وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله –تعالى– في الأمر، والحكم والطاعة والاتباع لرسوله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–.

وللعقيدة الإسلامية أسماء أخرى –وكما يقول العلم لا مشاحة في الاصطلاح– مرادفة لكلمة العقيدة تدل عليها وهي منها، كقولهم علم التوحيد علم السنة، أو السنة نجد مصنفات للإمام أحمد وتلامذته وغيرهم من أهل العلم من السلف يعنونون كتبًا لهم بالسنة ليس المقصود بالسنة بتعريفها المتأخر عند الناس ولكن السنة بمعنى الأمور التي هي أصول العقائد. وكذلك أصول الدين والفقه الأكبر، والشريعة والإيمان فهذه إطلاقات كلها تدل على معنى واحد هو الذي نتحدث فيه، وهو مسائل الإيمان والاعتقاد.

طيب احنا بنقول عقيدة السلف الصالح، كلمة السلف في اللغة هو ما مضى وما تقدم، يُقال سلف الشيء سلفًا أي مضى، والسلف: الجماعة المتقدمون أو القوم المتقدمون في السير، قال الله –تعالى–: "فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا –يعني تقدموا غيرهم– وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ" الزخرف٥٥:٥٦، أي عبرة لمن يأتي بعدهم ممن يفعل أفعالهم، أنه يمكن أن يكون مصيره كمصيرهم.

والسلف من تقدمك من آبائك وذي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل، ولذلك سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح، إذا أُطلِق السلف عند علماء الاعتقاد فإن تعريفاتهم تدور حول أصحاب القرون الثلاثة الأول، المفضلة من الصحابة والتابعين أو الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ممن شهد لهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالخيرية، فأصحاب هذه القرون المباركة، أفضل الأمة على الإطلاق؛ فيهم الصديقون والشهداء والصالحون وأئمة الدين الذين اختارهم الله لصحبة نبيه –صلى الله عليه وسلم– وتبليغ رسالته وهم الراسخون في العلم، المهتدون بهدي النبي –صلى الله عليه وسلم–، الحافظون لسنته وهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، ثم من تبعهم من علماء الإسلام العدول من الأئمة العدول الأعلام المشهود لهم بالأمانة والفضل واتباع السنة والإمامة فيها واجتناب البدعة والحذر منها، وممن اتفقت الأمة على إمامتهم وعظيم شأنهم في الدين، ولهذا سمي الصدر الأول بالسلف الصالح، قال الله –تعالى–: "وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" النساء:١١٥.

والإمام الشافعي كان أول من استنبط من هذه الآية الكريمة أن الإجماع حجة في الدين، وقد ذكر الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي –رحمة الله عليه– أن الإمام الشافعي –كما حكى عنه تلميذه الربيع– كان جالسًا إلى سارية من سواري المسجد فجاءه رجل أعرابي شيخ كبير فجلس إليه، فقال: يا شافعي ما الحجة في دين الله؟ قال: الكتاب، قال: ثم ماذا؟ قال: السنة، قال: ثم ماذا؟ قال: ما أجمع عليه المسلمون، قال: من أين لك هذا؟ فسكت الشافعي، فقال: إما قد أجلتك ثلاثا –يعني هاسيبك ثلاثة أيام– إما أن تأتيني على ما قلت بحجة وإلا فاستغفر الله –عز وجل–، قال: فقام الشافعي وذهب الرجل، قال: فلم يخرج إلينا الشافعي إلا بعد ثلاثة أيام، قد خرج وقد اصفر وجهه وظاهر عليه التعب والإعياء والسهر، قال فما هو إلا أن جلس إلى السارية حتى جاء الأعرابي –على الموعد تمام– فلما رآه الشافعي قال: نعم تعالى ثم تلا عليه هذه الآية "وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ"، قال: فما كان ليصليهم جهنم إلا على تركهم أمر واجب عليه، قال: نعم، ثم قام الرجل وانصرف. قال الشافعي: قرأت القرآن كل يوم ثلاث مرات حتى وقفت على هذه الآية. يعني الإمام الشافعي حبس نفسه وقرأ القرآن في التلات أيام تسع مرات –سبحان الله–، حتى فتح الله –عز وجل– عليه بهذه الآية وأنها حجة في إجماع المسلمين وأنه حجة في دين الله –تعالى–.



وقال الله –تعالى–: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" التوبة:١٠٠، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"[١]، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته والتابعون لهم بإحسانٍ هم سلف هذه الأمة، وإمام السلف الصالح هو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بل هو إمام الأمة كلها –عليه الصلاة والسلام–.

قال الله –تعالى–: "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" الفتح:٢٩، وقد قرن الله –تعالى– بين طاعته سبحانه وطاعة رسوله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا" النساء:٦٩، اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين، نطيعك سبحانك ونطيع نبيك –صلى الله عليه وسلم– فتثيبنا بما أثبت به، وتوفي لنا بما وعدت وأنت أحق من أوفى بعهده سبحانك.

وجعل الله طاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم– طاعة له سبحانه، فقال عز من قائل: "مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا" النساء:٨٠.

وأخبر الله –عز وجل– أن عدم طاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم– محبط ومبطل لجميع الأعمال، فقال –تعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ" محمد:٣٣، أي بمعصيتكم لله ومعصيتكم لرسوله –صلى الله عليه وسلم–.

ونهانا الله –تعالى– عن مخالفة أمره –صلى الله عليه وسلم– فقال: "وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ" النساء:١٤.

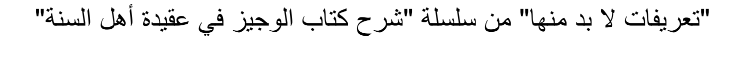
وأمرنا الله –عز وجل– أن نأخذ ما أمرنا به –صلى الله عليه وسلم– ونترك ما نهانا عنه، فقال –سبحانه–: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" الحشر:٧.

وأمرنا –سبحانه– أن نحكم رسوله –صلى الله عليه وسلم– في كل شأن من شؤون حياتنا.

أيها المسلم أيتها الأخت الكريمة المسلمة انظروا إلى قدر تحكيمكم لكتاب الله –عز وجل– فهو كلام الله، ولسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– في حياتكم، في اعتقاداتكم، عبادتكم، معاملاتكم، أخلاقكم، منهاجكم في الحياة، كم يسيطر الكتاب والسنة على هذه الأشياء؟ وكم نخالف فيها؟ فهذا هو الميزان الصحيح لكل من أراد بنفسه خيرا، ولمن يرجو الثواب من الله –سبحانه وتعالى–.

فقال عز من قائل: "فَلَا وَرَبِّكَ –قسم– لَا يُؤْمِنُونَ –من هم هؤلاء الأشقياء– حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" النساء:٦٥، فمن عكس القضية وخرج عن حكم الرسول –صلى الله عليه وسلم– فهو شقي، ومن أطاع الله –عز وجل– وحكم النبي –صلى الله عليه وسلم– في جل أمره وكبيره وصغيره وعظيمه فإن الله –سبحانه وتعالى– قد مدحه هذا المدح، بأن نحكم النبي –صلى الله عليه وسلم– في الأمور التي يحدث بيننا فيها خلاف ونزاع، لماذا نأتي بالأمثال؟ لماذا نأتي بالأعراف؟ لماذا نأتي بأمور هي خارجة عن الفصل في الخصومات؟ فهذا مما يعمق الخصومات ولا يزيلها، لكن لو ثُبْنَا إلى كتاب الله وإلى سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– لانتهت كثير من خلافاتنا لأننا حكّمنا الكتاب الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا، ممكن الإنسان يرضى بالحكم الظاهر، لكن في صدره حرج ولو كان غير هذا لكان

[١] صحيح البخاري




أحسن. والأمر الذي هو فوق ذلك ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، تسليم ظاهر وباطن وأن العبد يكون راضٍ ظاهرًا وباطنًا، وبين الله –تعالى– لنا بأن نبيه –صلى الله عليه وسلم– هو الأسوة الحسنة، وهو القدوة الصالحة والنموذج الأمثل الذي يجب اتباعه والاقتداء به –عليه الصلاة والسلام–.

قال –سبحانه–: "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" الأحزاب:٢١، وقال –سبحانه–: "وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ" التوبة:٦٢.

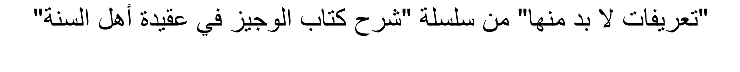
وقال عز من قائل: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ" آل عمران٣١:٣٢، ولهذا كان مرجع السلف الصالح عند التنازع هو كتاب الله –تعالى– وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم–، كما قال –سبحانه–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" النساء:٥٩، ونُكِّرَت لفظة خير لتدل على العموم أننا مهما حَكَّمنا الكتاب العزيز، وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– فإن هذا خير عظيم وأحسن تأويلًا، في العاقبة تكون الأمور إلى خير وعافية في الدين والدنيا بإذنه –سبحانه وتعالى–.

وأفضل السلف بعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هم الصحابة الكرام؛ وزراء النبي وسلم الذين حملوا هذا الدين وقاتلوا عليه، وأنفقوا النفس والنفيس حتى يصل إلينا هذا الدين أينما كنا وحيثما حللنا، فالصحابة لهم في أعناق كل من جاء بعدهم دين عظيم نترضى عنهم ونحبهم ونواليهم ونبغض من يعاديهم لأنهم هم الذين حملوا هذا الدين وهم أصدق هذه الأمة وأبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله –عز وجل– لصحبة النبي –صلى الله عليه وسلم– وزراء له، يقاتلون عن دينه، قال الله –تعالى–: "مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" الأحزاب:٢٣، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أوصيكُم بأصحابي، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم"[٢]، وقال –عليه الصلاة والسلام–: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ".

إذًا فالصحابة والتابعون لهم أحق بالاتباع من غيرهم وذلك لصدقهم في إيمانهم وإخلاصهم في عبادتهم، وهم حراس العقيدة وحماة الشريعة العاملون بها قولًا وفعلًا، والقائمون عليها حقًا وصدقًا ولذلك اختارهم الله –تعالى– لنشر دينه وتبليغ سنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– وشرعه للناس أجمعين.

وعن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنه– قال: قال النبي –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم–: تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، وفي بعض الألفاظ شعبة وفي بعض الألفاظ فرقة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قال من هي يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي، فمن أراد أن ينجو من هذه الفرق الهالكة الموعودة بالعذاب في الآخرة من قِبَل الله تعالى وإذا توعَّد أرحم الراحمين فاعلم أن هؤلاء لا خير فيهم، فليلزم هذا الذي يريد النجاة لنفسه غدًا هدي النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولذا رضي الله عن الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة حينما قال –رحمه الله–: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وما لم يكن يومئذ دينا فليس اليوم بدين"، مش هنخترع دين جديد، كل شوية تعديل، والناس قاعدين يقول لك الديانة الإبراهيمية وعاوزين يعملوا الدنيا سلطة، هذا والله ليس بدين أبدًا ومخالف للعقيدة ومخالف للفطرة، ده الراجل العابد البقر الهندوسي بيدافع عن عقيدته، واذا رأى الناس يذبحون البقر واستطاع أن يذبحهم مكان إلهه الذي يعبد، فإنه يذبحهم ولا يتورع عن هذا، فكيف نترك الحنفية السمحة ونذهب لهذه الأقوال الضالة؟ أعاذنا الله وإياكم والمسلمين ومن يأتي بعدنا أن يسير في هذا الطريق الذي مآله إلى الخيبة والخسران.

[٢] صحيح الترمذي





ولذلك فإن أهل السنة والجماعة يتميزون في عقيدتهم عن غيرهم من الذين ضلوا في باب الاعتقاد بأمور؛ من هذه الأمور أنهم أهل الوسط والاعتدال بين الإفراط والتفريط، فهم وسط، كما أن أهل الإسلام وسط بين الأمم جميعًا "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" البقرة:١٤٣ فإن أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق التي فرطت وكادت ألا تدخل أحدًا من النار، ممكن بعض الناس الحلولية بيعتقدوا إن إبليس في الجنة وفرعون في الجنة وأبو لهب في الجنة وأبو جهل في الجنة وكل من مات مجرد بس إن هو عنده فكرة إن فيه حاجة اسمها إله يبقى في الجنة، فهذا تفريط شديد، وهناك على الجانب الآخر غلو لا يكادون يدخلون في الإيمان إلا الواحد بعد الواحد، وأذكر إن اتنين من الخوارج كانوا يطوفون حول الكعبة، فقال أحدهما للآخر: تدري يا أبا فلان لن يدخل من هؤلاء الناس جميعًا الذين يطوفون حول البيت إلا أنا وأنت الجنة، قال له ليه قال؟ عشان احنا على المنهج الصحيح، قال يا رجل، جنة عرضها السماوات والأرض لا يدخلها إلا أنا وأنت؟ قال نعم ما هو إلا ذاك، قال: قد تركتها لك، ثم تاب الرجل وأناب من مذهب الخوارج وعاد بحمد الله –عز وجل– إلى هدي السنة الذي هو أرحب وأرحم بالخلق، وأعرف بالخالق –سبحانه وتعالى–.

– يبقى من مميزات عقيدة أهل السنة أنهم وسط بين الفرق، وعندهم اعتدال بين الإفراط والتفريط والغلو والجفاء.

– وكذلك أيضًا من مميزاتهم تعظيمهم لنصوص الكتاب والسنة واقتصارهم في التلقي عليهما والاهتمام بهما والتسليم المطلق لنصوصهما وفهمهما على مقتضى منهج السلف الصالح وطريقتهما المثلى، فتعظيم أهل السنة للوحي أمر لا يُنازع فيه أحد، ولذلك فإنهم لم ينحرفوا وعصمهم الله –عز وجل– بهذا الوحي الكريم، "قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ" الأنبياء:٤٥.

– والأمر الثالث أنهم ليس لهم إمام معظم، يأخذون كلامه كله ويدعون ما خالفه إلا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وهذا يستلزم أنهم أعلم الناس بأحواله وأقواله وأفعاله، لذلك فهم أشد الناس حبًا للسنة وأحرصهم على اتباعها وأكثرهم موالاة لأهلها.

– الأمر الرابع تركهم للخصومات في الدين، ما بيعقدوش المناظرات في أمور الاعتقاد يفرون منها، دايما اللي بيسعى للمناظرة اللي عنده شك وريب في عقيدته. جاء رجل إلى الإمام مالك فقال له: يا أبا عبد الله تعالى ناظرني، قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعتني، ما خلاص بقيت أنا الغالب، قال: فإذا جاء رجل ثالث فغلبني أنا وأنت؟ قال: نتبعه، قال: يا هذا إن كنت قد ضللت دينك فاذهب فالتمسه فأنا على يقين مما عندي. فترك الخصومات في الدين، والمناظرة في مسائل الاعتقاد هذا مذهب أهل السنة والجماعة ولذلك كانوا يقولون: من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل، كل يوم بيعتقد عقيدة وينتحل نحلة وينتقل من شيء كان يعتقد صوابه إلى بطلانه وهكذا حتى يلقى حتفه ولم يصل إلى برد اليقين نعوذ بالله من هذا.

– أيضًا تعظيمهم للسلف الصالح وأئمتهم واعتقادهم أن طريقة السلف ومنهجهم أسلم في الدين والدنيا، وأعلم لأنهم اعتصموا بالوحي، وأحكم، ليس ما يقول الضلال بأن عقيدة السلف أسلم وعقيدة الخلف أعلم وأحكم، العلم لم يصل أصلًا لهؤلاء الخلف إلا من جراء هذه الصحابة، ورحم الله أبا العلاء حينما قال: ما نحن في علمنا ومن سَلَف إلا كبقلٍ في أصول نخل عظام، أنت لا تكاد تظهر أصلًا على خريطة العلم، أيها المتأخر، ما لك حظ منه إلا ما أخذت من علوم هؤلاء، فاتق الله واعرف للناس أقدارهم واعرف قدر نفسك، والله –سبحانه وتعالى– وعظنا فقال: "وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إلّا قَليلًا" الإسراء:٨٥.

– فكذلك أيضًا رفضهم التأويل الكلامي وأمور الفلسفة، والأمور التي ضل بسببها الناس في العقائد، وقد دخلت هذه في أواخر عهد الصحابة وعهد التابعين، وازدادت المحنة حينما جاء الخليفة المأمون العباسي فترجم كتب الفلاسفة وغيرهم فازداد الناس حيرةً في مسائل العقائد وكثرت الفرق وتعمقت الخصومات، فأهل السنة ليسوا من هذا في شيء إنهم يأخذون عقيدتهم من الكتاب والسنة ويتبعون الصحابة –رضي الله عنه–، ولذلك احنا بنقول بملء فينا ونحن مطمئنون بأن مدرسة الصحابة هي مدرسة القول الواحد في العقيدة، ليس بينهم خلاف ولله الحمد في أصول مسائل الاعتقاد، ولله الحمد والمنة.



-كذلك إنهم لا يعممون الحكم ويجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم والمجمل إلى المبين والمطلق إلى المقيد، وبهذا سلموا من التناقض ووصلوا إلى الحق.

-كذلك أنهم قدوة الصالحين الذين يهدون إلى الحق ويرشدون إلى الصراط المستقيم، وذلك بثباتهم على الحق وعدم تقلبهم واتفاقهم في أمور العقيدة وجمعهم بين العلم والعبادة.

-كذلك أنهم لا يتسمون إلا باسم الإسلام والسنة والجماعة.

-كذلك حرصهم على نشر العقيدة الصحيحة، ونحن من هذا المنطلق نبلغ هذه الرسالة، نذكر أنفسنا وإخواننا أن يلتزموا هذه العقيدة، لأننا لا نعتقد أن نجاة عبدٍ تتم إلا حينما يلتزم هذه العقيدة إن شاء الله -تعالى-.

-كذلك أنهم أعظم الناس صبرًا في أقوالهم ومعتقداتهم ودعوتهم، وكذلك حرصهم على الجماعة والألفة، ودعوتهم إليها وحث الناس عليها ونذرهم الاختلاف والفرقة وتحذير الناس منها.

-كذلك أن الله -عز وجل- عصمهم من تكفير بعضهم لبعض، وتبديع وتفسيق بعضهم لبعض، فهم أفقه الناس حتى أهل السنة أرحم بأهل البدع من أهل البدع لأنفسهم، ربما أهل السنة لا يكفرون كثير من أهل الفرق، وأهل الفرقة الواحدة ربما إذا اجتمعوا كفر بعضهم بعضًا، وأذكر أن بعض الإخوة الذين كانوا ينتحلون مذهب التكفير هذا قد زارني في مكتبتي قديمًا، وجلس يناظر وأن من حلف بغير الله أشرك يبقى خرج من الملة واللي بيكذب ليس من أهل الملة وكذا، فبينما هو يتكلم إذ أخطأ في مسألة من مسائل التوحيد، فقلت وما تقول في هذه؟ إن صوابها كذا كذا والأمر على الإجماع، قال: نعم أنا كفرت، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله واستأنف المسألة، فأي دين هذا؟ وأي عقيدة هذه؟ فأهل السنة أرحم بأهل البدع من أهل البدع بأنفسهم، وهذا من فضل الله -عز وجل- عليهم.

-كذلك أنهم يدينون لله -تعالى- بمحبة بعضهم لبعض، ويترحم بعضهم على بعض، وبدعاء بعضهم لبعض، وذب بعضهم عن بعض، هذه الأمور لا تكاد تجدها إلا عند أهل السنة.

وبالجملة فهم أحسن الناس أخلاقًا، وأحرصهم على زكاة أنفسهم بطاعة الله -تعالى-، وأوسعهم أفقًا، وأبعدهم نظرًا، وأرحبهم بالخلاف صدرًا، وأعلمهم بآدابه وأصوله.

وصفوة القول في مفهوم أهل السنة والجماعة، إنها الفرقة التي وعدها النبي -صلى الله عليه وسلم- بالنجاة من الفرق، ومدار هذا الوصف على اتباع السنة وموافقة ما جاء فيها من الاعتقاد والعبادة والهدى والسلوك والأخلاق وملازمة جماعة المسلمين، ولذلك هي مقابلة لأهل الفرق جميعًا ممن سلكوا هذه المسالك الفاسدة التي أضلتهم في باب الاعتقاد كالخوارج والجهمية والقدرية والمعتزلة والمنشأة والرافضة وغيرهم، ولذلك قال سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنه وعن أبيه- في قوله -تعالى-: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ" آل عمران:١٠٦ قال: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، كما نقل ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره -رحمه الله-.

ولفظ السلف الصالح يرادف مصطلح أهل السنة والجماعة كما يطلق عليهم أيضًا أهل الأثر وأهل الحديث والطائفة المنصورة والطائفة الناجية وأهل الاتباع والغرباء، جعلنا الله -عز وجل- وإياكم من هؤلاء جميعًا.

ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا وإياكم في هذه الرحلة التي بدأناها من مجلسنا الماضي، وإلى أن ننتهي وهي رحلة العمر كما ذكرنا، تبدأ معنا بدراستنا أو بتذكيرنا هذه المعاني، ونرجو ألا تنتهي معنا حينما تنتهي هذه الرسالة إن وفقنا الله وقطعناها، وإنما هي رحلة العمر نحيا بها ونموت عليها وعليها نبعث إن شاء الله، "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" الأنعام١٦٢:١٦٣، وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإلى لقاءٍ قادمٍ إن شاء الله تعالى.

